تدريس الترجمة بالجامعة الجزائرية

د .سعيدة كحيل

مخبر الترجمة وتعليمية اللغات- جامعة عنابة

الكلمات المفاتيح:تدريس الترجمة ،التاريخ اللغوي ،الكفاءة اللغوية ،الكفاءة الترجمية،الازدواج اللغوي ،وحدة الترجمة.

ملخص

إن التطرق لموضوع الواقع اللغوي في الجزائر يطرح إشكاليات تاريخية و سياسيـــة و لغوية متشعبة. مرتبطة بتداعيات الماضي و الحاضر، و إن مواجهة هذا الواقع بالتحليل نظرا للانتماء والمعايشة يقتضي الجرأة والموضوعية.

سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على واقع تعليم الترجمة باعتبارها جزءا من هذا الواقع اللغوي دون التركيز على طبيعة الأحداث بل بتحليل الواقع و مرجعياته التاريخية.

تثير مسألة تدريس الترجمة في الجامعة الجزائرية جملة من الإشكاليات المتعلقة بالأسباب والأهـــداف وارتباطها بمستوى الطلبة في اللغات و طبيعة الإعداد اللساني و العلمي و البيداغوجي للأستاذ و الطالب على السواء وقابليات التلقي عندهما ونوع الكفاءة المطلوبة .

Resume

L enseignement de la traduction exige au préalable, une planification méthodique et une conception scientifique en se référant à la didactique des langues et par suite, à la didactique des disciplines.

En exploitant les théories, les méthodes, les techniques et les outils linguistiques, on aboutit à la « formation » de la compétence linguistique et

traductive. Cette approche expose les objectifs de l enseignement de la traduction a l université algérienne depuis l indépendance jusqu'au nos jours. Nous proposons également des solutions aux difficultés de la formation.

مقدمة :

يكشف الواقع اللغوي في الجزائر عن الخلفية التاريخية لتعايش اللغات من خلال التعايش مع الآخر و لقد تأسست المؤسسات الفرنسية الأولى لتجسيد تعليم لغتها للجزائري قبل 1962 و بتاريخ 30 سبتمبر 1850(1) و تشعبت هذه المؤسسات إلى أقسام متخصصة في تكوين مزدوجي اللغة(الفرنسية،و العربية).

و أول قسم من هذا النوع كان في المدية ثم في البليدة و أخيرا في الجزائر العاصمة سنة 1859 لتلحق به أخرى في تلمسان و قسنطينة.

و يحصل الطلبة في نهاية تكوينهم على شهادات لتعليم اللغتين بناء على عملية النقل من العربية إلى الفرنسية، حتى سرى الاعتقاد وفق هذه المرجعية أن الفرنسية هي اللغة الأم للجزائريين.

و تجسد ذلك في المحاولات المستمرة لتكوين الإطارات في تخصصات دقيقة كالطب و باللغة الفرنسية طبعا.و بالرجوع إلى تاريخ" الجزائري" اللغوي في هذه الحقبة نلمح تمسكه بلغته العربية باعتبارها لغة الهوية وحضور الأمازيغية على ألسنة مجموعات كلامية.

و كان لهذا الوضع تداعياته السياسية و اللغوية و الثقافية على المتعلم الجزائري في المراحل القادمة وهو ما سيحلل في هذه الدراسة .

- تدريس الترجمة سنة :11962

- العربية لغة رسمية:

عندما استقلت الجزائر سنة 1962، كانت الفرنسية لا تزال حاضرة في النظام التربوي بل إنها بالضرورة لغة التعليم. و في هذه الفترة طرحت بحدة مشكلة السياسة اللغوية في الجزائر، و تأسست شرعية العربية لغة رسمية لتكوين الإطارات في مجال التعليم ، و تظافرت الجهود لخدمة هذا الاختيار ، و عرفت عملية التعريب حركة حثيثة لتأصيل لغة الهوية. و أنجزت الدولة مشاريع كبرى لجعل العربية لغة التعليم. فهل أقصيت اللغة الفرنسية من الاستعمال؟

إن الإيمان بضرورة النقل المعرفي إلى العربية وحضور الفئة التي تملك اللسان الفرنسي في موقع السلطة بالإضافة إلى التأثيرات السياسية و الإعلامية، كان وراء تعدد المناخ بمبادرة تأسيس المدرسة العليا للمترجمين (l'unisco) . و قد قامت اليونسكو اللغوي على غرار المدرسة العليا للمترجمين في جامعة باريس.

و بهذا أسست في الجزائر العاصمة سنة 1963 أول مدرسة للترجمة تعنى بتطبيق هذه الثلاثيات:

- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الانجليزية .
- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الاسبانية.
- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الألمانية.

إن هذا التطبيق يراعي الانطلاق من اللغة الأم و هي العربية إلى الفرنسية كلغة أجنبية أولى ثم بقية اللغات، كالإنجليزية و الاسبانية و الألمانية.

- سياسة التعريب سنة 1970 و الترجمة:2

كانت الحاجة لترجمة النصوص الرسمية من الفرنسية أساس تكثيف المساعي لنشر تعريب المؤسسات في الجزائر وكان على الأساتذة الذين تم تكوينهم في مرحلة ما قبل 1962 بذل الجهود في تعريب الإدارة الجزائرية.

و قد أحدث وزير الداخلية آنذاك مكاتب ترجمة في كل إدارة وزارية لترجمة الوثائق. أما (L'OUA) على الصعيد الدولي فقد فتحت مسابقات في مستوى تنظيم الوحدة الإفريقية
والجامعة العربية و مكتب الأمم المتحدة بجنيف لتكوين المترجمين المتخصصين في اللغة العربية و الفرنسية.
و عن واقع التعريب في الجامعة الجزائرية ترسم خوله طالب الإبراهيمي هذا الجدول:(2)

Niveaux d'arabisation du corps enseignant

Toute filières confondues	Sans sciences sociales Médicales et vétérinaires	Niveaux
18% 31% 45.5 % 5.3%	10% 35.5 % 52% 2.3%	Niveau fort Niveau moyen Niveau faible Sans

Répartition en pourcentage des niveaux

filière	fort	Moyen	Faible	ND	Total
Sciences exactes	11.5 (12)	37.2 (38)	49.0 (50)	2.3	100
Technologie	9.3 (10)	35.5 (36)	53.3 (54)	1.9	100
Sciences médicales Et vétérinaires	7.4 (8)	17.2 (17)	75.4 (75)	---	---
Sciences biologiques	8.9 (10)	32.1 (32)	55.7 (56)	9.3	100
Sciences sociales	37.6 (40)	22.6 (30)	26.9 (30)	12.9	100
total	18.6 (40)	31.2	---	5.3	100

تحتل العلوم الاجتماعية مرتبة الصدارة من وصف هذين الجدولين في الخطة المرسومة لتعريب التعليم.

3- الجامعة الجزائرية و تدريس الترجمة :

تدرس الترجمة في الجامعة بمرحلة التدرج كاستمرار لتعلـــيم الفرنسية والانجليزية الذي انطلق في المدارس.

فأما في مستوى ما بعد التدرج فقد أدرجت الترجمة مادة لتأطير أعمال البحوث.

و ابتداء من سنة 1994 أصبحت الترجمة تدرس تخصصا في أكبر الجامعـــات الجزائرية و منها جامعة عنابه ولها شهادة خاصة،و مادة أساسية في جميع أقسام الجامعة مهما كان نوع التخصص و لها علاقة كبيرة بمحاور المواد الأخرى.

و نضرب مثالا على ذلك لمحاور المواد في تخصص ليسانس في اللغة العربية و آدابها نظرا للخصوصية فبالإضافة إلى تدريسها كمادة في سنوات التدرج الأربعة و في السنة الأولى ماجستير، فإن لها علاقة بمحاور مادة اللسانيات العامة واللسانيات التطبـيقية و علم الأسلوب التفاضلي و علم المصطلح و علم الأسلوب و نظرية الأدب و الأدب المقارن والأدب الأجنـــبي و تحليل الخطاب و السيميائيات.

حيث يلجأ الأستاذ في إعداد المادة إلى ترجمة مصطلحات و تعريفات التخصص.

و نشير إلى المساعي الكبيرة التي تبذل في مستوى مخابر البحث في جامعة عنابه لانجاز مشاريع البحوث في الترجمة و خاصة ترجمة القواميس الفرنسية إلى اللغة العربية (3).

و من الركائز الكبرى لتدعيم تعليم الترجمة و التأليف فيها، مركز الترجمة و المصطلحات العربية في الجزائر الذي صدر في حـــق إنشائه مرسوم في الجريدة الرسمـــية

بتاريخ 27 ماي 1986. و مهمته نقل المعارف و الثقافات إلى اللغة العربية و إصدار قانون خاص بالترجمة.ومن أهم الجامعات الجزائرية التي تدرس الترجمة في أقسام مستقلة جامعة الجزائر وجامعة مولود معمري بتيزي وزو وجامعة وهران وجامعة عنابة وجامعة قسنطينة.

كما تشرف الأستاذة الدكتورة إنعام بيوض على المعهد العالي للترجمة و مقره الجزائر و مهمته إعداد كفاءات تشرف على تدريس الترجمة بالجامعات العربية و غير العربية وترجمة الآثار العلمية بالدرجة الأولى من لغات أخرى إلى العربية، حيث تعاني الجامعة الجزائرية من نقص التأطير في تدريس هذا التخصص .

4- أهداف تدريس الترجمة بالجامعة الجزائرية:

إن تعليم الترجمة مبرمج في الجامعات العالمية كلها وفي مدارس متخصصة، و لكن طبيعة التكوين تحددها الأهداف حيث تتراوح مدة التكوين عادة بين 4 إلى 5 سنوات تخضع كلها للتجربة و التطبيق و تتطلب إمكانيات مدروسة تقول كرستين دوريو (4)

« une réflexion sur l'enseignement de la traduction ne saurait se limiter à relater une expérience, si réussite soit- elle pour préconiser la réplication....il y a plusieurs formes de l'enseignement de la traduction...de plus, tout enseignement présuppose des moyens humains et matériels qui ne sort pas les mieux repartis . »

لتعليم الترجمة في الجامعة دور بيداغوجي ثنائي، فهي من جهة تراقب معارف اللغة الأم من خلال تعليم تمارين الترجمة تتلاقى لغتان في دراسة تقابلية تسمح بتعلم اللغة الأجنبية. لأننا و نحن نطلب من الدارس أن يترجم نصا فإننا على يقين أنه حقق حفظا للمفردات المتقابلة و استثمر قواعد النحو بالتقابل التطبيقي، و يمكن له أيضا أن يكون معينا لأستاذ الترجمة على معرفة نجاعة طريقته في التعليم فكلما حقق نتائج حسنة و في مدة قياسية كلما كان حكم الأستاذ على الطريقة إيجابي ، مما يسمح بتكرار الإجراء و تطويره.

و من جهة الهدف العام، تدخل برمجة الترجمة في الجامعة الجزائرية كتخصص مستقل و كمادة في تخصصات أخرى مراعاة لتوجهات الدولة و قراراتها السياسية و اللغوية تكون فيه مجاراة التغيرات العالمية ضرورية.

4-1- الأهداف العامة لتدريس الترجمة

إن السؤال الذي يطرح هو: لماذا ندرس الترجمة بالجامعة وهذا من باب الطرح العام؟

إن الاهتمام بتعليم الترجمة منذ سنة 1994 إلى يومنا هذا و ومن خلال البرامج المقترحة (5) دليل على وجود خطة نظرية و عملية.

إلا أن تأثير المنظومة التعليمية العالمية في وضع البرامج و اقتراح مواد جديدة بفعل التقدم العلمي و اللساني يفترض العودة لمرجعيات ثقافية و لغوية مختلفة ، و بالتالي لابد من التعرف على لغة و ثقافة الآخر، و هذا في رأيي سبب وجيه لتدريس الترجمة في الجامعة إلى جانب تدريس اللغات الأجنبية الفرنسية و الانجليزية واللغة الأصلية العربية والتخصصات العلمية دون مراعاة التنسيق بين هذه المواد التي تحضر لدرس الترجمة أو ما يسمى وحدة الترجمـة.

إن وظيفة الترجمة عامة و في التعليمية خاصة تثير تساؤلا يتعلق بأهداف تدريس الترجمة في الجامعة؟ و هنا تطرح مسألة علاقة الذات بالآخر، لأن الترجمة تمثل العبور والالتقاء و التجابه و التلاقح و التقارح عبر قراءة النصوص التي كانت مستهلكة في لغة واحدة و عبر الترجمة صيغت من جديد و تحولت الصياغة إلى ميلاد آخر و هو جوهر عملية تدريس النصوص بالترجمة.

فكل من لا يهتم بما كتبه الآخر الأجنبي عنه و لا يسعى إلى تملكه يمـوت مكتظا بذاته و بجهله ، فمن لا يهتم بممارسة الترجمة جاهل لعملية التعبير ذاتها فالترجمة جسر يمكن اجتيازه لاحتضان الآخر. و برغم الصعوبات التي يطرحها تعليم الترجمة كمادة في قسم اللغة

العربية و آدابها إلا أنها تشكل مناخا للعلاقة بين الفكر و اللغة، بين حرفية المعنى و تأويله و بهذا يجد الأستاذ و الطالب نفسيهما في مجال استهلاك المعارف في أصولها و يقعان تحت سحر الآخر وصدق "إرنست رينان" حين أكد أن العمل المكتوب لم ينشر إلا جزء منه ولن يكتمل النشر إلا بالترجمة ..

لقد فتحت المدرسة الجزائرية منذ البداية النوافذ على الآخر وحاولت حماية البيت العربي من هذا الآخر الفرنسي خاصة الذي ربطتنا به علاقة صراع و مقاومة. فالآخر صورته لا تخلو من المفارقة عند المتعلم الجزائري فهو المحتل الظالم وهو أيضا مركز الإشعاع الفكري و الاقتصادي، حين يقرأ البؤساء و البحيرة و حين يستهلك البضائع الفرنسية.

هذه المفارقة في حد ذاتها تميز اللغة العربية عند الطالب الجزائري في قدرتها على نقل المضامين الأخرى خاصة الثقافية التي أخضعته لخصوصيات داخل الصراعات السياسية " مما أنتج خطابا متميزا هو خطاب المثاقفة "(6)

وإذن فإن تدريس الترجمة يكون لبناء الذات وليس فقط بالتأثر بالمقررات العالمية.

إذا انطلقنا من المبادئ العامة لتدريسها كمادة يمكن إثبات أن الهدف أيضا ليس تنمية القدرات الترجمية بالدرجة الأولى بقدر ما هو اكتساب آليات الكفاءة في لغتين وترقية المعارف و أن نخلق في الدارس هذه المهارات : كيف يفكر و كيف يتعلم و كيف يستثمر ثم ينتج و يبدع.

« L'objectif n'est pas de traduire mais, à travers la traduction, d'acquérir et s'asseoir les compétences linguistiques, d'affiner les connaissances, d'apprendre à apprendre et à réfléchir » (7)

إن انتشار المفاهيم العلمية باللغة العربية و محاولة امتلاكها و تأسيس الحوار مع الآخر بدل الصراع معه أنجزت لأجله مشاريع معلوماتية شاملة للكتب العلمية باللغتين الفرنسية و العربية و كلها تهدف إلى إيصال الاستفادة منها في الدراسة الجامعية عبر الترجمة (8).

إن الأهداف المنهجية تنزع إلى تمثل المفاهيم و الاستراتيجيات و من جهة أخرى تطوير بعض المظاهر المعرفية و النفسية التي تسمح له خلال التكوين الجامعي من قراءة النصوص الأصلية و هي مرتبطة بالمقاييس المدرسة في القسم و التي لها مرجعيات ثقافية باللغة الفرنسية و الإنجليزية.

و لأنني عايشت تدريس بعض مواد التخصص في الترجمة سأقدم هذا الوصف العام للمحاور التي تركز على التكوين في اللغات أكثر من الترجمة ويتعلق الأمر بمواد التحسين اللغوي ولغة الاختصاص واللغات بينما تحظى مواد التخصص المباشر بحجم أقلكمنهجية الترجمة ونظرياتها وتقنياتها ويغيب التربص الميداني في الغالب إلا بفضل تشجيع بعض الأساتذة للطلبة المتحمسين لانتزاع مكان لهم في سوق الشغل.،لا أن الإشكال الكبير هو ضعف كفاءة الدارس اللغوية الترجمية على السواء

4-2- التاريخ اللغوي

إن وصف التاريخ اللغوي للدارس بالجامعة في هذا التخصص لايتم إلا بالرجوع إلى الوثائق الرسمية قبل حصوله على شهادة البكالوريا و هو وصف عام يتعلق بالمعدلات المحتشمة

في امتحان البكالوريا في تخصص اللغات أو العلوم الإنسانية أو بعض التخصصات العلمية التي لم يحرز فيها الدارس على التخصص المناسب فيضطر لدراسة الترجمة.،لذلك ندعو لوضع استراتجيات التوجيه لهذا التخصص كأن يسبقه إعداد لسنتين جذعا مشتركا في اللغات ثم التوجه إلى الترجمة الشفوية أو التحريرية وقبل المرحلة

الجامعية لابد من إعداد مرحلي لممارسة الترجمة في مستوى وحدات التدريسوتثمين رغبة الدارس.
وفي التعليمية نعرف جيدا نتائج ذلك على المردود و تلبية الحاجات.
فإذا حاولنا البحث عن الأسباب في هذا المستوى المتدني للطالب الجامعي نجده يمتد في تاريخه اللغوي فرغم أنه يعيش في وسط يشجع على تعلم اللغات حيث مارس الجزائري التعدد اللغوي منذ زمن قديم إلا أن الصعوبات بل و حتى الإعاقات اللغوية ليست مرتبطة باللغـــة الأجنبية و مهاراتها بل وحتى بلغته الأم.
يمارس الجزائري يوميا في وسطه العائلي حوارا متعدد اللغة و حين يدخل المدرسة تستعمل الأيادي الصغيرة الاختلاف بانتظام.
فهذه يد واحدة لكتابة اللغة العربية و الفرنسية، مرة من الجهة اليمنى وأخرى من الجهة اليسرى و كل لغة لها كتبها و تمارينها و اختباراتها و تتشعب اللغات أكثر في تعليمه المتوسط و الثانوي و يمارس يوميا نقل المفاهيم العلمية (9) و رغم ذلك تجده في المرحلة الجامعية يقف على هامش هذه التجارب اللغوية.
فما هي الأسباب الكامنة وراء تردي المستوى؟
إن طبيعة التعليم الذي خضع له الطالب الجزائري في تاريخه اللغوي يكشف عن نقائص كثيرة متراكمة. " فإذا كان التلميذ الفرنسي مثلا يتعلم في كتابه المدرسي التحضيري في سنة 1966، 112 اسما للحيوان، فالتلميذ الجزائري يتعلم 44 فقط و بالنسبة لأسماء النبات فالعدد 95 مقابل 22 و أما أسماء جسم الإنسان فعددها 50 مقابل 11 أما عن أسماء الأشياء ف 370 مقابل 106 و عن الأفعال 444 فعلا مقابل 250 في المجموع يتعلم التلميذ الفرنسي 1333 مفهوما جديدا في حين يتعلم الجزائري 527 فقط " (10)
هذا يعني أن مستوى التعليم في اللغة الواحدة غير متكافئ و أن الإعداد لامتلاك ناصية الكلام ينقصه الكثير و يتطلب رسم خريطة

التعليم من جديد ذلك أن المتعلم الجزائري تنقصه آلية اكتساب مهارات اللغة العربية لأنه لم يتعلمها عبر مراحل التعليم بطريقة صحيحة.
إن الدعوة إلى تنفيذ ميزتي الانتقاء و التكامل في تعليمية مهارات اللغة العربية من صميم الفكر التأصيلي الذي نعود فيه إلى طبيعة اللغة العربية في خصائصها المتكاملة و في هذه العودة تميز لها .
يخدم هذا التنفيذ الواقع اللغوي للمتعلم الجزائري في مختلف الأطوار التعليمية و الذي يعاني من صعوبات التمكن التلقائي من اللغة و إذا كان بعض الغيورين على العربية ينادون بتفعيل دورها في المحافل الدولية و إعطائها بعدا علميا و عالميا (11) و هو مطلب نبيل فالحاجة أيضا تتطلب تفعيل دورها عند مستعمليها داخل أوطانها و التمكن من مهاراتها و التشبث بها لأنها لغة الهوية(12) والتي ترتبط بخصوصيات المتعلم العربي أيضا .
إن تعليمية مهارات اللغة العربية في ضوء انتقاء النظريات و الطرائق و المناهج و الوسائل ، و بناء التكامل في العبور من الاستماع إلى الحديث و القراءة و الكتابة يسمح بتذليل صعوبات و مشكلات اللغة العربية .
لقد حاولنا في عرضنا للأمثلة التطبيقية أن نسهم في تأكيد التمكن التلقائي من العربية إذا كان الفكر العلمي الشمولي يراعي هاتين الميزتين . و بما أنها تنتمي إلى فهي لا تحلل بتقطيع الكلام إلى flexionnelles" فصيلة اللغات المتصرفة
أجزاء يتجلى ذلك مثلا في ظاهرة الاشتقاق (13) و يمكن أن تنسحب هذه الصفة على جميع خصائصها و لهذا استفدنا في تعليمية مهاراتها .
إن وضع المحتويات المناسبة للعربية الوظيفية عمل يشرف عليه فريق الذخيرة اللغوية الذي من شأنه أن يدعم تحصيل المعلومات الكافية عن الكلمة العربية المناسبة للتعليم من حيث جذورها و أساليبها

و مدى ارتباطها بالمفاهيم الحضارية و العلمية بكيفيات منظمة و غير مكلفة (14).

و إذا كنا نتكلم عن التكامل في هذا العمل الموسوعي فإننا نرجعه هو الآخر إلى طبيعة التفكير العربي الشمولي.

إن الحاجة اليوم في ميدان تعليمية اللغة والترجمةهي الوصول إلى التصورات الصحيحة لتحقيق الاستعمال و الممارسة الصحيحة للغة.

إن مستقبل اللغة العربية في مشاركة اللغات العالمية للوصول إلى تمثل المعرفة و إنتاجها ، و سبيلها في ذلك ترقية مهاراتها و مقايستها بمهارات اللغات الأخرى التي تتعايش معها و لا يتم ذلك إلا بدراسة معمقة تفترض الوجود والتعايش مع الآخر ، و ليس أفضل من التعليم لتجسيد هذه الفكرة.

إن هذا الجهد للاهتمام بمهارات اللغة العربية ضروري لتحضير الدارس لدرس الترجمة لأنها لغة الترجمة الأصلية حسب القانون والعلم ، و عليه أن يخضع في تعلم اللغة الفرنسية لرؤية جديدة في امتلاك مهاراتها اللغوية العقلية و الأدائية.

فلا يمكننا أن نتكلم عن نقص هذه المهارات عنده في اللغتين إذا لم نؤكد على متابعتها في تاريخه اللغوي. و بالإضافة إلى هذه المهارات على الأستاذ أن يعمد إلى المهارات الترجمية في تعامله مع الطالب و النص(15) خاصة ما تعلق بالقراءة الترجمية و التي تختلف عن القراءة العادية من حيث تقسيمها إلى قراءة انطباعية و استيعابية تبنى على خلفية مناهج علم النص و تحليل الخطاب.

و كذلك الأمر بالنسبة للكتابة التي يفترض فيها معرفة خصائصها في اللغتين حتى يتسنى للطالب تحرير النص الهدف بطريقة صحيحة.

إن التحكم في المهارات الأدائية الإنتاجية للغتين لا تكفي ملكيتها بل يجب أن يتوفر الفهم و الإنتاج اللغوي.

« Maîtriser une langue comme instrument de communication, ce n'est, à l'évidence, pas seulement être capable de lire et d'écrire correctement des phrases. Il faut être capable de comprendre et de produire des combinaisons d'actes de langage corespendant aux intentions des participants d'un évènement de communication et appropriés à la situation d'interaction »(16)

و يتم هذا الفهم و الإنتاج في سياق تواصلي بين لغتين فحين تقابلنا مفردات لها استعمالات التي لها معاني مختلفة بالفرنسية و يقابلها - bon- خاصة في النص المصدر كلمة

الاختلاف نفسه في الاستعمال العربي. فالسياق يسهل كثيرا عملية الانتقاء و الإنتاج

إن حضور لغتين على الأقل في المدرسة الجزائرية نتج عنه ظهور وضعيات لسانية خاصة و بالنظر إلى الواقع اللغوي للمتعلم الجزائري سندرسها جهة تأثيرها على تعليمية الترجمة سلبا و إيجابا. و منها وضعية التهجين و الازدواج اللغوي الذي نتج عن تعلم لغتين على الأقل في المراحل الدراسية المختلفة و كيف أن برمجة اللغة الأجنبية لم تـخضع للشروط العلمية الضرورية لا من حيث التوقيت المناسب و لا مـن حيث تدريس الاختلاف بين اللغتين ولا حتى بإعداد كفاءة المدرس والدارس فالمشكلة لاتكمن في تدريس التعدد اللغوي وإنما في مستوى التخطيط والتنفيذ.

5- الازدواج اللغوي وتدريس الترجمة:

من المعلوم أن اللسانيات لم تهتم بظاهرة الازدواج اللغوي إلا في إطار شرح التطور اللغوي ، لأن اللغة هي موضوع هذا العلم و ليس الإنسان. أما علم النفس فدرسها على أنها مصدر التأثير على مسار

العقل البشري. إلا أن علم الاجتماع اعتبر الازدواج اللغوي عنصرا من تداخل الثقافات. نلاحظ أن كل هذه العلوم درست الازدواج اللغوي كظاهرة ثانوية و ليس كغاية في حد ذاتها. و عن المفهوم الغوي للظاهرة قدم "بلومفيلد" تعريفا

ظاهرة« bilinguisme » ربطه بتكلم لغتين كاللغة الأم (17) و لقد أصبح الازدواج

عالمية بناء على وجود هذه العناصر الأربعة:

- عدد و تفريع اللغات في العالم.
- الحاجة إلى اللغات الوطنية.
- حقل عمل اللغات العالمية.
-الحركات الشعبية.

فمن حيث العدد يوجد عدد كبير من اللغات أكثر من البلدان التي تتبناها و سيطرة اللغات على بعضها البعض ويحدد ماكي (18) الأسباب التي تحدث هذه الظاهرة و التي يمكن قياسها على الجزائر، منها التبعية اللغوية ففي كثير من البلدان يستعمل المثقفون فيها لغتين على الأقل لأن البلدان المتقدمة تسعى إلى تعليم عدد كبير من اللغات لامتلاك العلم والثقافة بالمراجع الأجنبية.

و قد تكون الحدود السياسية مرتبطة بالحدود اللغوية كحالة الاستعمار في الجزائر.

إلا أن الاستقلالية اللسانية للبلد خدمتها قوة اللغة العربية بمرجعيتها الدينية، و في هذه الحالة نجد استعمالا للغة الأجنبية و لكن ليس بقوة اللغة الأم.

تخلق وضـــعية الازدواج اللغوي في المدرســـة الجزائرية ما يسمى

باللغة المزيجة (langue mixte)(19)

حيث برمجت اللغتان في المقرر الدراسيبطريقة غير مدروسة مما أثر على أداء كل لغة على حده.

و من التأثيرات المباشرة ما تعلق بالجانب الفكري حيث يصعب على المتعلم خلق انفصال كلي بين اللغتين و في هذه الحالة تمارس اللغة الأجنبية أو اللغة الأم نفوذها على الأخرى.

إن التعليم المزدوج مشكل يثير في غالب الأحيان تداعيات يصعب التحكم فيهـــا (20) و تزداد الصعوبة إذا لم يتم تدريس الاختلاف ومراعاة خصائص المجموعة الدراسية التي تتعرض لنظامين لغويين مختلفين محدثا التفاوت في فهم المقررات.

فإذا أردنا الاستفادة من إيجابيات التعليم المزدوج عليـنا إعداد طرائق خاصة و تكوين أساتذة يراعون التعدد و الازدواج اللغوي. و يمكن استغلال المواد العلمية و الأدبية لتعليم اللغتين في آن واحد ، فمثلا يمكن استغلال ترجمة التعريفات بلغتين و كذلك المصطلحات.

يجب التفريق بين التداخل والاستعارة اللغوية حيث يتعلق المجال الأول بالـــكلام و الثاني باللسان و الأول فردي و الثاني جماعي ، نظامي.

يقول ماكي:

« Dans l'emprunt linguistique, nous avons affaire à l'intégration dans le système, on utilise des éléments d'une langue comme s'ils faisaient partie de l'autre » (21)

و عملية الاستعارة تحدث خارج اختيارات الفرد الإرادية. أما التداخل فهو في علاقة مع الفرد الواحد و كيفية أدائه للغة في علاقة مع اللغة الأخرى.

و له مستويات كثيرة يوضحها هذا الجدول(22):

التداخل	interférence
L.M اللغة الأم L.E اللغة الأجنبية	Langue اللسان Dialecte اللهجة Forme الشكل Style الأسلوب Contraste السياق

و المستويات التي يحدث فيها التداخل هي:

1- الثقافية 2- الدلالية 3- المفرداتية4- التركيبية 5- الصرفية .

(utilité) إن مناخ التعدد اللغوي في الجزائر لا يراعي الإفادة

أي تدريس ما نحتاجه من اللغة مع التفريق بين استعمالنا لها لهذه الحاجة و بين كونها لغة الهوية، وهذا يفرز مشكلة خطيرة هي التداخل الثقافي حيث توجد عدة مفاهيم خارجية عن اللغة و تؤثر في عملية النقل بين اللغات.

و نلمح هذه الظاهرة في درس الترجمة حيث يعجز الطالب عن إيجاد المقابل المفاهيمي. لذلك لابد من معرفة اللغة عبر علاماتها و دلالاتها و تركيبها مرتبطة بالمعرفة العميقة بثقافاتها . و تقوم على عاتق اللغويين و المترجمين" مسؤولية إيجاد مصطلحات لها محتوى ثقافي في اللغة الهدف تقترب من اللغة الأصل و عبر ممارسة الترجمة يخلق جسورا بين ثقافتين" (23).

هذه الممارسة تصبح سلاحا ذو حدين عندما يتعصب الطالب للغة المنشأ و ينقل ما يختلف عن ثقافته بطريقة يشوه بها الأصل.

نمارس يوميا التداخل الثقافي، و يواجه طلبة الجامعة في درس الترجمة جملة من التأثيرات السلبية الناتجة عن التداخل اللغوي و الثقافي فهم :

1- لا يهتمون بالسياق، في اختيارهم للمرادفات اللغوية من القاموس و يستعملونها في الترجمة دون أن يتأكدوا من أنها هي المقصودة في سياق النص و ما اختاره لها الكاتب من معنى خاصوخاصة مصطلح لغة التخصص إذ يصفه نيومارك بالحرباءلتموهه حسب نوع النص.

2- يميلون إلى الترجمة الحرفية (traduction littérale) مبنى ومعنى حتى و إن كانت

هذه الترجمة لا تراعي الاختلاف التركيبي و السياقي خاصة إذا كانت لغة النص الأصلية هي الفرنسية و النقل إلى لغته الأم و هي العربية حيث تكون مشكلة فهم المعنى السياقي عسيرة عليهم.

3- يصعب على الطلبة في درس الترجمة انجاز تمارين النقل المعجمي، و هذا يرجع إلى محدودية المعرفة اللغوية للعربية و الفرنسية في آن واحد.

4- في نقلهم للتركيب عن النص الأصلي إلى النص الهدف يفرضون بناء الجملة الفرنسية على العربية لأنهم يمارسون النقل الحرفي. فرغم علمهم بقواعد الجـــملة العربية لا يستثمرونها في التطبيق.

5- صعوبة ترجمة التعابير المولدة والمجازية من الفرنسية إلى العربية و ميلهم إلى الترجمة الحرفية مما يشوه البعد الثقافي و المعرفي لهذه التعابير مثال على ذلك:

التعبير باللغة الفرنسية	الترجمـة الحرفية	المقابل الصحـيح
Les lois libres	القواعد الحرة	القوانين أو القواعد الحرة
Mettre les point sur les is	وضع النقاط على الحروف	مواجهة الأمر

عندما تدخل مثل هذه التعابير بالترجمة الحرفية تفقد اللغة الهدف خصوصياتها مما يوقعها يقول شارل بوطون (24) la diglossie) (في الثنائية

« Des qu'une langue est culturellement infériorisée, elle présente une résistance moindre aux interférences multiples avec cette autre langue et risque d'y perdre sa spécificité. C'est la situation de diglossie »

فالمثال الثاني يحيلنا على مفهوم آخر في اللغة العربية لما تقصده ثقافة اللغة المصدر ذلك أن وضع النقاط على الحروف هو ما يسمى في اللغة العربية إعجاما. وهي لغة معجمة و تختلف في ذلك عن الفرنسية . فالمقابل الصحيح هو نقل للمعنى المقصود في المثال الأصلي بوسائل لغوية مختلفة لأننا ننطلق دائما في درس الترجمة من الاختلاف لنصل إلى التشابه . فقد تكون اللغة ذاتها سببا في التداخل الثقافي إذا لم يراع الاختلاف.

إننا ننطلق في عملية تشريح واقع الطالب الجامعي من فكرة استغلال ما يعرفه و تعلمه و البناء عليه في مستوى الدراسة الجامعية و عموما يمكن أن نطرح مشكل التداخل اللغوي و الثقافي عندما يتعلق الأمر بمقابل المصطلح في موضوعات علمية دقيقة .

و يؤكد" جورج مونان" على هذه الفكرة عندما يعرض لرأي" نيدا "في هذا الموضوع بالذات قائلا إن تصنيفه للمشكلات التي يطرحها التكافؤ حين الانتقال من عالم ثقافي إلى آخرفي مستوى الترجمة بناء على خمسة مجالات وهي:علم البيئة والثقافة المادية أي التكنولوجيا بمختلف أنواعها والثقافة الاجتماعية والثقافة الدينيةوأخيرالثقافة اللسانية.

« Nida classe les problèmes posés par la recherche des équivalences lors du passage d'un monde culturel à un autre au cours d'une traduction selon cinq domaines : l'écologie, la culture matérielle (toutes les technologies au sens large) la culture sociale, la culture religieuse et la culture linguistique » (25).

إن الكلام عن الازدواج اللغوي و الثقافي و تعدد هذا المناخ يكشف عن الواقع اللغوي الجزائري و من المفروض أن يستغل إيجابيا في درس الترجمة الذي يحقق من خلاله تنـمية اللغة العربية ذاتها حين يوسع مفرداتها عبر استعمال المصطلحات الحضارية و العلمية الجديدة و حين ينقل التعابير المجازية بطرق صحيحة (26). ،كما أنه يخلص في نهاية التجربة التطبيقية الترجمية إلى تنمية مهارات اللغة الفرنسية التي غيبها بعدم استعمالها.

و لكن تظافر الإشكاليات المطروحة في تاريخه اللغوي جعل الاستغلال سلبيا لهذا المعطى في درس الترجمة.

و في المستنطق الذي أجري مع الطلبة عن الأسباب التي أوقعتهم في أخطاء الترجمة وصعوباتها العملية،أجاب بعضهم بأن ضعف إمكاناتهم في اللغة الفرنسية والانجليزية دافع حقيقي لنقص كفاءة الترجمة ولكن هذه المشكلة ليست خاصة باللغة الفرنسية فقط، فالصعوبات و إن كانت أقل درجة فهي مطروحة أيضا في اللغة العربية .

و في هذا الموضوع بالذات يقول محمد العربي ولد خليفة: كيف نفسر أنه و بعد 44 سنة من الاستقلال فإن تلاميذ المدارس الابتدائية و الثانوية و الجامعية لا يحلون شفرة اللغة إلا بصعوبة كبيرة و لا يكادون يكتبون جملة صحيحة. (27)

يقول بعض الطلبة أنهم في درس الترجمة يشعرون بحالة مرضية شبيهة بازدواج الشخصية. فهم يقرؤون النص العربي و يفهمون الحمولة المعرفية و لكنهم يعجزون عن نقل كلمة واحدة إلى الفرنسية. (EGLAEL)

إن ضعف التحصيل اللغوي أثر كثيرا في تجاوب الطلبة رغم أنهم يريدون اكتساب المعرفة بلغتها الأصلية ونتيجة لهذا الوضع ندعو إلى دراسة جديدة لملف تدريس اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية والتمهيد لتكوين كفاءة الترجمة عبر الاهتمام بهذا الملف فالدارس الجزائري اليوم لايعرف أي لغة كما يجب أن تعرف تواصلا وتمثلا معرفيا.

و تقوم محاور المادة في سنتها الرابعة على التعامل مع النصوص التطبيقية

6—وحدة مواد الترجمة:

ترتبط جملة من المواد لتشكيل وحدة الترجمة بحيث لانستطيع الفصل بينها عمليا وكل مادة تحضر للأخرى بالضرورة ومنها:

6-1-- اللسانيات

لها مرجعيات علمية تخص دراسة اللغة كظاهرة إنسانية يشترك متكلموها في خصائص كما يختلفون في خصائص أخرى.

كما يتعلم منها الدارس في قسم الترجمة التفكير الموضوعي في التعامل مع اللغات، مما يبعده عن التعصب للغته الأم و ذلك بالتعرض إلى المستويات اللغوية .

و تعتبر اللسانيات التقابلية مادة معرفية هامة للطالب والأستاذ معا نظرا لأهمية وظيفتها في تحليل النصوص والأخطاء .و لتطوير استراتيجيات تدريس مواد الترجمة، عليهما التعرف على خصائص اللغات الصوتية و الصرفية والنحوية و الدلالية و كيف عالجت المدارس اللسانية كل هذا و كيفية استثماره في درس الترجمة. و

فيها يتعرف على المفاهيم اللسانية في أصولها اللغوية و كيفية ترجمتها إلى اللغة المستقبلة بمقابلاتها ولها سند نظري لمادة نظريات الترجمة اللسانية وطرائق وتقنيات الترجمة القائمة على حل مشكل اللغة باعتباره مشكلا قاعديا لكنه ليس الجوهر.

لذلك تعتبر مادة اللسانيات ركاما معرفيا يؤسس لدرس الترجمة التطبيقي بل إن معيار اختيار النصوص نعود فيه إلى مضامينها .

و لكن هذه المادة المبرمجة في السنة الأولى بطريقة تدريسها الحالية وهو حكم ميداني لاتفيد الدارس بل إنه يحس بعبئها على التخصص التطبيقي الذي ينتمي إليه هذا الحكم قد ينطبق على بعض المواد مثل التحسين اللغوي ولغة الاختصاص العربية لأن طريقة تدريسها لا تفصل بين الدراسة اللغوية و المفاهيم العامة، أضف إلى ذلك الكم الهائل من المفاهيم القديمة و الحديثةالنظرية و الذي تبرمج في سنة واحدة ، عادة ما تمتد إلى مدى زمني يقدر بـ 20 حصة بيداغوجية على أكثر تقدير،إذ المفروض أن تقسم محاور المادة على امتداد سنوات التكوين ، و يخصص لدراسة المستويات اللغوية حيزا زمنيا يجمع بين النظري و التطبيقي .

ثم إن الدروس لا تجري بطريقة تطبق فيها قواعد المحاضرة و التطبيق. فغالبا ما تمزج الحصص النظرية و قلما تخصص حصة للتطبيق العلمي في اللسانيات مما يخلق حالة صعوبة هضم الحمولة المعرفية الهامة.

و من المواد المبرمجة و التي لها حضور في درس الترجمة:

2-6 مادة المدارس اللسانية:

يتعلم دارس الترجمة من هذه المادة مختلف المدارس اللسانية ويستثمر الوصف لإيجاد حل لمشكلة اللغة في الترجمة فمثلا من مدرسة لسانيا النص سيعرف العلاقة مع مدرسة أنواع النصوص في الترجمة ويتعلم

آليات النقل بالعودة إلى لنص كاملا وليس الكلمة أو التركيب المفرد ومنها :

- كيف ترتبط الجمل ببعضها بعضا؟ و كيف يحدث الاتساق ؟(cohésion)

- كيف ترتبط الأفكار المتضمنة في النص ببعضها البعض فيتحقق الانسجام ؟(cohérence)

- ما هي الغاية التي جعلت الكاتب ينتج نصه ؟ و ما هي دوافع القصدية ؟ (intentionnality)

- كيف يتقبل القارئ هذا النص و ما هي المقبولية (acceptability)

- ماذا يقول لنا هذا النص؟ المعلوماتية (informativity)

- ماذا يراد بهذا النص؟ الموقفية (situationality)

- ما هي النصوص الأخرى التي يشبهها هذا النص؟ التناص (textuality)

- في أي مستوى يتحقق التضام (28) ؟ (collocation)

و هي من المشكلات التي يصادفها الطالب في درس الترجمة ، فعوض أن يبحث عن الكلمات التي يمكنها أن تتضام، نجده ينساق مع النص المصدر فيستعمل كلمات أخرى بطريقة يجعلنا نشعر أن هذا الأمر قد وقع فعلا و لكن النص يطرح بدائل أخرى.

إن تدريس ظاهرة التضام يتطلب معرفة عميقة بلسانيات النص و بعلم المصطلح في تحليلهما لتموقع المفردات في الجمل و تأثير كل ذلك على الخطاب و كيفية صياغة كل هذا في لغة أخرى بحيث يمكن للطالب الذي يتكون في هذه العلوم أن يقدم على الترجمة بآليات معرفية ذلك أن الهدف من الدرس التطبيقي للترجمة ليس وصف

اللغات حتى بالمقارنة و إنما تحليل أفكار رسالة و إعادة صياغتها في لغة أخرى.

« L'objectif général des cours pratiques de traduction n'est pas la description (même comparative) des langues, mais l'analyse de l'articulation des pensées d'un message et leur reformulation dans une autre langue » (29)

و بما أن الترجمة هي ممارسة لغوية لسانية من الدرجة الأولى فإنها تشكل موضوع مقاربة سيميائية يمكن أن تطبق عليها إجراءاتها و آلياتها و تتخذ منها مجـالا للمعاينة و التحليل (30) فالترجمة عملية سيميائيةأيضا و تحدث الاستفادة من المنهج بالدروس التطبيقية و ليس بسرد الكم المعرفي النظري كالتركيز على التاريخ و الاختلافات الفلسفية ،ومن المفروض أن يضم البرنامج هذه المادة أيضا بالإضافة إلى الأسلوبيات في تمثل الجماليات.

و خلاصة القول:

يستقصد التكوين في قسم الترجمة إعداد كفاءة اللغة وكفاءة الترجمة لكن الغائب هي الممارسة العملية في مقاربة نصوص واقعية ورسم استراتجيات بعيدة المدى وربط التكوين الجامعي بمساحة واقعية في سوق الشغل.

المراجع:

1-Aicha Aissani, l'enseignement de la traduction en 2000 p480.481. Algérie in Meta, XLV, 3,

2-Khaoula Taleb Ibrahimi les Algériens et leur (S S ،langue (s)) les éditions El Hikma Algérie 2 ed 1997. p 288.

3- ينظر في هذا الموضوع قائمة مشاريع البحوث التابعة لمخبر اللسانيات و اللغة العربية و مخبر الأدب العام و الأدب المقارن بجامعة عنابه.

4- Christine Durieux, l'enseignement de la traduction , 2 1 .2005.p2.in Meta

5- http// w.w.w univ annaba. Org. contenu des programme du U.P.S du 1er et 2ème cycle.2005.

6- محمد برادة – سياقات ثقافية ص 276.

7- Henri Michel ; la traduction dans l'enseignement des langues in meta V. 46 /2 2001 p 213.

8- عبد الله الغفاري – بناء قاعدة بيانات شاملة للكتاب العلمي العربي و المعجم المختص مقاربة ميدانية مركز دراسات الوحدة العربية بيرو لبنان ط1 -2000ص260

9-Henri A Waiss. Mon ami n'a dit ; in Meta ,1 , 2005- p 22.

10- Ahmed Lakhdar Ghazal. Les trois méthodologies de l'arabisation dialogue entre la langue arabe et la langue française actes du colloque de rabat Maroc 1985. p40

11-أنظر: نصوص أ،مال الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العامية – المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر .2001

12- راجع جريدة الأحرار – عدد ثقافي خاص 12 أفريل ماي 2006 - إشكاليات الثقافة – المسألة اللغوية الهوية و تحديات العولمة .

13- أنظر: د- شريف بوشحدان. دراسة نقدية تقويمية لمنهاج النحو بالمدرسة الأساسية الجزائرية – الطور الثالث أنموذجا – رسالة دكتوراه دولة غير منشورة – جامعة عنابة 2004 ص.17

14- راجع: د- عبد الرحمان الحاج صالح – مشروع الذخيرة اللغوية العربية و أبعادها العلمية و التطبيقية الندوة الأولى – الجزائر .

15- Taylor , c, 1990 the error analysis of translation an ditz application to language teaching SSCM unit of trieste p1.

16 - Eddy Roulet- langue maternelle et langues secondes vers une pédagogie intégrée- Hatier credif 1980 p81

- L 17-.Bloom field. language, halt , new York 1933p 56.

18- voir : william françis Makey. Bilinguisme et contact des langues. Edition klimcksieck . paris 1976. p14/15.

19-« elle est caractérisé par le transfert d'éléments d'une langue A dans la langue B »

Remarque :

Ce mélange de codes est très courant dans les grandes villes, surtout a Alger et les villes côtière.

-Hamers. J Blanc M (1983) bilingualité et bilinguisme margada bruxelle. P 167
20 - Ibid p 147

21 - Makey bilinguisme et contact des langues p 397.
22 - Ibid Makey bilinguisme et contact des langues p400 tableau 36.
23 - Malika Bouhdiba l'influence des facteurs extralinguistiques sur le traducteur. Al Mutargim n°4 Juin 2002 p 15-16.

24 -Bouton Charles , la linguistique appliquée que sais je . France 1979. p50.

25 - George Mounin, les problèmes thérique de la traduction ed 1963- p 61-62.
26- الخطة القومية للترجمة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم – تونس 1996-ص18.
27- محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية ص 223.و كان يعني حل شفرة اللغة العربية بالدرجة الأولى ثـم اللغات الأخرى
28-Roger, T. Bell, translation and translatiny longman, london 1997.p41.
29 - Delisle cité par Elizabeth lavault, fonctions de la traductions en didactiques des langues, Didier paris 1985 p 61.

30- حسين خمري الترجمة و السيميائيات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2004 ص 154.